مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 01 ،ماي 2021، ص - ص:07-40

أضواء على مرتكزات الفكر التاريخي عند الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش

Spotlight on the foundations of historical thought at Dr. Ibrahim Al – Qadri Boutchich

أ د نجيب بن خيرة (*)
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ و الحضارة الإسلامية ،جامعة الشارقة(الامارات العربية المتحدة) ،
nadjibhistory@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/ 11 تاريخ القبول: 2021/01/ 02 تاريخ النشر: 2021/05/30

الملخص: ولعل المفكر و المؤرخ الدكتور إبراهيم بوتشيش إستطاع في كثير من دراساته التي تخصصت في الغرب الإسلامي ، وعنيت بالجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية أن يضع قواعد جوهرية في التعامل مع المادة التاريخية مؤسسة على فهم عميق للأحداث وتطوراتها و العوامل الحقيقية المؤثرة فيها ، معتمدا على المنهج علمي رصين متجاوزا القراءة السطحية والاجتهاد التعسفي في بعض الدراسات العربية ، كما ترصد كثيرا من القراءات الإستشراقية وتتناولها بالمناقشة والنقد و التقويم.
كما تناول قضايا فكرية فرضتها معطيات العصر وتطوراته .وقد ورد ذلك كله في جملة من الدراسات والأبحاث للدكتور القادري .

الكلمات الدالة: إبراهيم بوتشيش ؛ الغرب الإسلامي ؛ الفكر التاريخي؛ المنهج ؛ الابحاث.

Abstrac: Perhaps the thinker and historian Dr. Ibrahim Boutchich was able in many of his studies, which specialized in the Islamic West, and was concerned with cultural, economic and social aspects, to establish fundamental rules in dealing with historical material based on a deep understanding of the events and developments and the real factors affecting them, The superficial reading and the arbitrariness of some Arab studies, as well as the monitoring of many Orientalist readings and dealing with discussion, criticism and evaluation.
He also dealt with intellectual issues imposed by the data of the period and developments. All of this was reported in a number of studies and research by Dr. Al-Qadri.

Keywords: Ibrahim Boutchich; Islamic occedental; Historical thought; Historical method; Research.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

تجاوز الأكاديمية الصارمة ، والانتشار في آفاق الثقافة العامة ، وتقديم الفكر سهلا ميسورا لشرائح مختلفة من المجتمع دليل تفرد وعطاء وإبداع ، وهناك من يجمع بين الجانب الأكاديمي وما يستلزمه من صرامة علمية ، وبين الجانب الإبداعي الذي يُعنى بتقديم معارف تخصصه وفق معايير تجعل من المعرفة الخاصة غذاء نافعا يحمل رسالة نبيلة ، القصد منها بدءا وانتهاء هو الإرتقاء بالإنسان ، وصناعة الفكر ، وخدمة المجتمع.

والتاريخ ليس مجرد أحداث مضت وانتهت ، وليس لها امتداد في حاضر الناس ومستقبلهم ، بل إن الأمة العربية اليوم هي أكثر أمم أرض تأثرا بتاريخها ، فحوادثه الماضية تنبض في الحاضر ، وتوجه فكر الناس فيه ، ولعل التحدي الحضاري الذي تواجهه الأمة اليوم لا تتوفر شروط الغلبة فيه إلا بتوظيف التاريخ الذي يسهم في التوجيه و التربية و البناء .

كل هذا وذاك حاضر في فكر المؤرخ و المفكر الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش وفق منهج سطره في كتاباته المتخصصة ، و أصبحت معالم تأسيس لمنهج أكاديمي متميز لدراسة التاريخ العربي والإسلامي . بالإضافة إلى قراءاته العامة لقضايا عصره الراهنة ، فتناول تاريخ الغرب الإسلامي على اختلاف مراحله ، مركزا على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية ، كما تناول قضايا فكرية فرضتها معطيات العصر وتطوراته . وكان لابد للمؤرخ الثبت ، و المفكر المتنور أن يدلي فيها برأيه ، ويشارك أمته في ما يجد في حياتها من أقضية ونوازل .

وهذه الورقة المتواضعة سوف تلقي الضوء على أبرز مرتكزات الفكر التاريخي عند الدكتور إبراهيم القادري من خلال المحاور التالية :

1. في تفسير التاريخ ..وأثر مدرسة الدكتور محمود إسماعيل
2. ملامح في الفكر و المنهج
3. عندما يقرأ التاريخ من أسفل ..ضوابط لا بد منها
4. في آفاق الفكر الإسلامي (خطاب التقريب أنموذجا)

1 . في تفسير التاريخ ..وأثر مدرسة محمود إسماعيل[1] :

النظر في التاريخ برؤية فلسفية تأملية تستدعي تفسيره وفهم إيقاعه واتجاهات مسيرته ارتبط غالبا بفترات الإخفاق ، ومراحل التقهقر الذي تعيشه الشعوب و الحضارات ، مما يحفز المفكرين و الفلاسفة إلى دراسة الواقع في صيرورته وتطوره ، وإلى تفسير ظواهر التراجع وأسباب الانحطاط مع رصد مراحل الثبات ومراحل التحول ثم تفسير ذلك والإجابة عن سبب التطور على هذا النحو .

وقد استطاع الدكتور محمود اسماعيل أن يؤسس مدرسة تاريخية جديدة في المغرب العربي قوامها الباحثون الشباب الذين يملكون أدوات البحث الرصينة ، مع ما تلقوه من منهج جديد في تفسير التاريخ على نحو يستطيع مواجهة التيار التغريبي الذي اكتسح الساحة المغاربية ، وحاول نسف جميع مقولات وتوجهات الفكر التأصيلي الذي يتخذ من المرجعية العربية والإسلامية سندا وظهيرا .

ومن خلال ما أنجزه هؤلاء الباحثون من رسائل وأبحاث وأطروحات في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الأفكار ، تخلّقت هذه المدرسة المغربية التي يعتبر الدكتور القادري بوتشيش " الإبن البكر " فيها . على حد تعبير أستاذه الدكتور محمود اسماعيل [2]. والرائد لها ، إذ يحمد له تأسيس أول " شعبة تكوين" في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بمكناس ، وخرّجت جيلا جديدا من المؤرخين المغاربة الشبان ، بالإضافة إلى إنجاز سلسلة من الكتب والأبحاث و الدراسات الهامة أهلته للترشيح لجائزة " الملك الفيصل " في التاريخ الإقتصادي ، كما جرى اختياره " مؤرخ العام 2003م " من قبل إحدى الأكاديميات التاريخية الكبرى [3].

كل هذا يعكس الدور الرائد الذي تقوده " المدرسة المحمودية " (نسبة إلى الدكتور محمود إسماعيل) في المغرب ، والتي أنجبت أجيالا من المؤرخين المغاربة و المشارقة الذين تبنو منهجه ورؤيته للتاريخ الإسلامي بإصرار وأناة ، مما أسفر عن نجاحها في اختراق دياجير العديد من

البقع المنسية في التاريخ ، وجعل الهامش المهمش يخرج من القعر ليطفو على سطح اهتمامات الباحثين[4] .

وبالرغم من أن أبحاث الدكتور محمود إسماعيل تهتم بالحركات الاجتماعية وتقدمها من خلال تبني المادية التاريخية في قراءة الأحداث وتفسير الظواهر " إلا أن أبحاث الدكتور محمود اسماعيل تميّزت بأنها الأكثر نضجا ووعيا في استخدام المنهج المادي و التعامل مع النص ، وهو ما تفتقر إليه كثير من الدراسات الماركسية التي تعاني من الازدواجية في التعامل مع النصوص ..." [5].

لقد استطاعت هذه الدراسات والأبحاث التي خطّها الأستاذ محمود إسماعيل أن تصنع رابطة فكرية مشتركة بين عديد الباحثين الشباب الذين قاموا بدور تطوير مدرسة أستاذهم ، وذلك من خلال تحرير دراسة التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الغرب الإسلامي على وجه الخصوص من أخطبوط التبعية " التغريبية " سواء للماضي أو للآخر ، مع عدم رفض مناهج القدامى ومناهج الغربيين على طول الخط ، بقدر الحرص على الإفادة من نتاجهما معا بعد استيعابه وتمثله ، واختطاط طريق جديد من شأنه عقلنة التاريخ الإسلامي وعلمنته ، باعتبار وقائعه وأحداثه نتيجة فعاليات بشرية بالدرجة الأولى تخضع لقوانين العلم الاجتماعي ونواميس الحركة والصيرورة التي يخضع لها التاريخ البشري في سائر القاع وعلى مرّ الأزمان [6].

والدكتور محمود إسماعيل من خلال منهجه القائم على دراسة حوادث التاريخ وفق الرؤية الاجتماعية الجدلية الصراعية التي وجدت مريدين من أبناء " الأنتلجانسيا " العربية في أنحاء مختلفة من جامعات الوطن والأوساط الثقافية و البحثية فيها و المؤتمرات العلمية وندوات البحث التاريخي وحلقاته ..مما شكّل في نظر هؤلاء منهجا جديدا للتنوير و التثوير استطاع . حسب رأيهم . تقديم رؤية جديدة للتراث في صورة عقلانية وعلمية ، تقف على الأسباب و العلل التي تحرك الظواهر الطبيعية و الإنسانية على السواء، " وفي مجال العلوم الإنسانية . ومن ضمنها التاريخ بطبيعة الحال . جرى الاهتمام بالتعليل أو التأويل أو التفسير إلى حد ظهور علم لهذا الغرض ، وهو علم " الهرمنيطيقيا " وتعاظم دور هذا العلم إلى درجة الطموح إلى التنظير باعتباره أقصى درجات العلم وأسماها " [7]. وطرح الرؤية (السلفية) التي تعول على أسلحة

الذرائعية و المحظورات والإكراهات ، لتحل الرؤية الشمولية التي تنظر إلى تراث السلطة و المعارضة باعتباره كلاً لا يتجزأ لتكريس صورة الإسلام " التخديري " المبرِر لحكم العسكر وطواغيت الثيوقراطية المتطرفة ، التي يعزف مؤرخوها الرسميون عن ذكر تاريخ الرعية باعتباره ثوراتهم الاجتماعية من قبيل " المحن " و " الفتن " التي يجب أن يقمعها السلطان دون هوادة ، مما انتهى إلا انزلاق رؤى المؤرخين إلى التفسيرات الأسطورية و الإثنية و الطائفية ، وتقديس الأبطال المؤيدين بالعناية الإلهية... !"[8].

كما ركز الدكتور محمود إسماعيل على النظر إلى العوامل الاقتصادية على أنها الأساس لكل مظاهر المجتمع الأخرى دون إقصاء الدين كمكون فطري وثقافي واجتماعي لا يمكن للإنسان أن يعيش بدونه ...مع توليفه لمنهج جديد يمكن أن يسمى " بالماركسية المؤمنة " ، " وعاش نموذجا للمثقف الذي يعيش ما يؤمن به بإخلاص ، ينتمي للجماعة الوطنية وللثورة و للفقراء ، ويقيم جسورا للتواصل بين التصوف و السياسة و التاريخ ..." [9].

ولئن اختار الدكتور محمود إسماعيل أن يُحقب التاريخ الإسلامي وفق هذه الرؤية التي ترى هذا التاريخ هو صراع بين البورجوازية و الاقطاع ، إلى حد أنه جعل عصر النبوة و الخلافة الراشدة هو عصر مجتمع الأخوة ، وعصر الأمويين عصر بداية النمط الإقطاعي ، وعصر الدولة العباسية عصر الصحوة البورجوازية ، ثم عصر الإصلاح الزراعي ، و الثورة الثقافية ...فإن تلميذه الدكتور إبراهيم القادري لم ينحو في التأويل هذا المنحى ، ولم يفسر التاريخ الإسلامي وفق هذه الرؤية ، بل تناول فترات التاريخ الإسلامي مشرقا ومغربا من خلال التحقيب الحضاري الذي يرصد الإنجازات الحضارية (الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية) بعيدا عن سقوط الأنظمة ، وتعاقب الأسر و السلالات على سدة الحكم.

هذا من جهة التحقيب ، أما من جهة التأويل فيرى أن مفاهيم " الهرمنيطيقا " تتعدد حسب تناول الحقول المعرفية النفسية و اللغوية و الفلسفية و اللاهوتية ، ويرى أن هذا علم . كما نقل العروي . أنه يقوم على قواعد وأسس تجعل من التأويل و التفسير في مجال التاريخ بناء علميا متناسقا ومتلازما مع الواقع التاريخي العياني ، يؤكده ويعضده ، ولا يخرج عن سياقه

المنطقي ، وبعبارة أخرى فإن " الهرمنيطقا التاريخية (نسبة إلى التاريخ) تعني محاولة تنظيمية للفعل التأويلي ، أو هي بكلام آخر ، محاولة بناء علمي لعملية التأويل التاريخي يكون هدفها استراتيجية منطقية للقراءة التأويلية للنص التاريخي ، عبر ضوابط ومحددات علمية ومنطقية ، إنها نسق فكري يتعامل مع النص بناء على منطق ضمني ، وقيمة محورية يستطيع المؤول من خلاله أن يدرك عنصر التنسيق و الوحدة باللجوء إلى الحدس لا بمفهوم التوهم العابر ، بل بمعنى القناعة التي تستقر في النفس بعد طول المعاشرة والاستئناس بالنص" [10].

ويرى الدكتور إبراهيم القادري أنه بالرغم من إشكالية هل النص قابل للتأويل أم لا ؟ " فإن صناعة المؤرخ لم تعد تقتصر على تقميش النصوص وجمعها ثم عرضها بطريقة جافة بعد ذلك ، بل تكمن مهمته الأساسية في استنطاق النصوص ، خاصة بالنسبة لهذا النوع من النصوص التي تستدعي تدخل المؤرخ عبر التفسير و التأويل "[11] .

وقد اعترض الدكتور القادري على إقصاء النص التاريخي من دائرة التأويل من خلال عدة وجوه ، نذكر منها : ظرفية إنتاج خطاب النص ، وسيادة النص المحايي ، و المعنى المضمر للنص ، وانقطاع السند ، وانفتاح علم التاريخ على سائر العلوم الأخرى ، والإيحاء ، و الرموز والألوان وغيرها ..." [12].

كما وضع ضوابط لتأسيس هرمنيطيقا تاريخية قد تساهم في تجاوز عقدة الاغتراب عن النص التاريخي ، عن طريق ما يسميه البعض بعملية المواءمة (Appropriation) التي تجعل ما كان غريبا بعيدا قريبا ممكنا ، بل ومنتميا إلى العالم المعاش (The life world) الذي ينتمي إليه صاحب النص [13].

ولعل من بين هذه الضوابط : الفهم الكافي للنص التاريخي . تجاوز القراءة السطحية للنص التاريخي إلى قراءة شمولية . احترام القراءة السياقية للنص . البحث عن المعنى المضمر في النص . مراعاة انعدام وجود تناقض المعنى المؤول مع معطى الواقع . عدم إسقاط الحاضر على الماضي . احترام منطق النص وبنيته الداخلية ومقارنته بنصوص خارجية . تجاوز التأويل المؤدلج . مراعاة معاني الدلالات الرمزية في النسيج الثقافي [14].

وقد ركّز الدكتور إبراهيم القادري جل اهتمامه حول الدراسات التي تهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية في التاريخ الإسلامي اقتناعا منه أن هناك ثورة منهجية في حقل الدراسات التاريخية على مستوى الموضوع و الأدوات المصدرية و التوثيق ...مثّلت قفزة نوعية في إعادة الاعتبار للبنى التحتية وعقل الإنسان ومكوناته النفسية و الفيزيولوجية .....وانتقل البحث التاريخي من عهد " الزمن الفردي " للتاريخ إلى " الزمن الجغرافي " و " الزمن الاجتماعي " و" تاريخ الجماعات و التجمعات " ومن العهود القصيرة إلى " تاريخ الحقب الطويلة "كما تم الانتقال من الاهتمام بالنص " التقليدي " إلى النص المجازي و الرموز أحيانا ، وتغير الاهتمام من الوثيقة المخزنية إلى بقايا الإنسان من أهازيج وقصائد وشواهد قبور ، مرورا بلوائح دفن الموتى وصولا إلى فواتير الماء و الكهرباء ...مع الانفتاح مع علوم أخرى مساعدة : كعلم الاقتصاد وعلم الأنتروبولوجيا وعلم النفس وعلوم اللسانيات و العلوم الفقهية و الجغرافيا ، بل وحتى علم الرياضيات ، وغير ذلك من العلوم الدقيقة ...[15].

وبالرغم من هذا المنحى الذي يبدو في ظاهره منحى ماديا صرفا في تفسير التاريخ الإسلامي وتأويله ، إلا أن الدكتور إبراهيم القادري لم تستقطبه الرؤية الإيديولوجية لأستاذه محمود إسماعيل و المحركة للكتابة داخل التيار الماركسي العربي المعاصر ، و التي تدفع بالباحث إلى العمل على اختيار الموضوعات التي يود مقاربتها أو معالجتها ، تحليلا أو تركيبا ، تسويغا أو نقدا ، من موقع الانتماء الإيديولوجي بالأساس .. واستطاع أن يفلت من عقال المنهج المؤدلج الذي لا يقرأ وقائع التاريخ على ضوء معطياته الفعليه ، بل يقرأها ويؤولها تحت ضغط هموم الحاضر وانشغالاته وصراعاته ، مما أدّى إلى طغيان الأيديولوجية على الرؤية الحصيفة للتاريخ .

وإذا كان الدكتور محمود إسماعيل قد خاض معارك فكرية حامية الوطيس مع خصومه من علماء الشريعة ، ومؤسسات العلم الديني، وخاصة مؤسسة الأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية ..الذين يرون في كتاباته تزويرا للتاريخ وتدليسا في نقده وتحليله ، وقلبا للحقائق الثابتة ، و الوقائع المقررة ...بدعوى العقلانية والاستنارة ...فإن الدكتور إبراهيم القادري تناول قضايا التاريخ الإسلامي . مغربا ومشرقا . بمناهج جريئة في استنطاق الحقائق ، ولكنها لا تصادم

الثوابت ، ولا تناكف المقدس ، ولا تستخف بالموروث ...بالرغم من أنه عالج موضوعات تختلف فيها الرؤى وتتباين الإشكاليات ، واستطاع أن يزحزح ما ظل يشكل لوقت طويل " مسلمات " في تاريخ الغرب الإسلامي على وجه الخصوص بمنهج معتدل لا شطط فيه ، مما عمّق مجال البحث وأثراه وأضاف إليه الجديد في القراءة و التفسير و التأويل .

ولنا أن نؤكد مرة أخرى من إيمان الدكتور إبراهيم القادري بأن قضايا الاقتصاد لها دور رائد في تكون المجتمعات وتطور نظمها ، واتخاذ مسارها الحضاري ، إلا أن القارئ في كتبه لا يجدها قضية محورية في كتاباته على غرار المنتمين إلى المدرسة التاريخية المادية القائلين بأن الاقتصاد هو علاقات انتاج ، وصراع بين الطبقات ، بل نجده يتفاعل مع عناصر أخرى في النص ، يأخذ بعضها بزمام بعض ، لتشكل قراءة متكاملة تتنوع فيها العناصر الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية ، وتقارب الحقيقة من خلال نبض الرواية ، و الخروج بتحليلها من دائرة الخبر إلى فضاء الإشكالية ،بما يقتضيه ذلك من التسلح بالحس الناقد ، و الفكر المنفتح ، و الثقافة المتكاملة .

ومن نماذج هذا الاعتدال المنهجي في القراءة و التناول ما يمكن أن نلمسه في معالجته لموضوع السحر ، و الكهانة و التنجيم ، والاعتقادات الشعبية في أرواح الجن والخوارق وانتحال النبوة ...حيث نظر إليها ضمن خلفيتها السوسيواقتصادية ، وضمن النسيج الثقافي ، و المناخ السياسي ...وما يكشفه التفاوت في وسائل الإنتاج من أرض وماشية ورؤوس أموال من تفاوت اجتماعي استفادت منه طبقة الخاصة ، بينما أقفلت أبواب الرزق أمام طبقة العامة ...وسدت أمامها كل الطرق الممكنة لتحسين وضعها الاجتماعي ، وهو ما جعلها أقرب إلى الفكر الغيبي للتعبير عن طموحاتها وأمانيها ، وتؤسس عالما خياليا تختزن فيه كل توجهاتها وتطلعاتها [16].

وبعد أن يسوق جملة من النصوص من المصادر التي أوردت الكثير مما شاع من الخرافات والاعتقادات الشركية ، في "العصر المرابطي " ككتب الفتاوى و النوازل والأخبار ...يخلص إلى القول : " أنه لا سبيل إلى الشك في أن مثل هذه الظواهر عبرت عن عجز الإنسان في معاركة ظروفه الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به ، غير أنها استندت إلى سلطان الدين لتكسب

مشروعيتها ، وتحظى بتأييد الجمهور ، أو تتحقق حتما بفضل الوظيفة النفسية التي يلعبها الدين ...وما يرافق من التبرك بالأولياء و الصلحاء و التماس الدعاء منهم و البركة فيهم إلا دليلا على ذلك[17] .

وحين عالج الدكتور إبراهيم القادري موضوع " حلف الفضول " [18] كأول جمعية عربية مدنية للدفاع عن حقوق الإنسان ، اعتبر أن هذا الحلف يؤكد مقولة أن المجتمع العربي وريث ثقافة تقوم على الدفاع عن الإنسان ، وتأكيد حقوقه المشروعة ، وعندما جاء الإسلام أمدّ هذه الثقافة بنفس جديد ، وزادها رسوخا حين كرّم الله الإنسان وجعله أحسن المخلوقات بأن وهبه أعزّ شيء وهو العقل ، وضمن له كافة حقوقه ، وناهض الظلم دون هوادة[19] .

ورأى الدكتور القادري أن هذا الحلف " دحض مرويات تراثية تحاول تصوير العرب كمتصالحين مع واقع الظلم ، كما دحض ترهات الغرب التي تحاول تفسير التاريخ العربي بأنه انتهاك لحقوق الإنسان ، وبالتالي سعى إلى الترويج لفكرة مهلهلة تفوح بالعنصرية ، ومسخ الحقائق ، مؤداها أن العربي لا يعرف مبادئ حقوق الإنسان ..." [20].

ثم يقرر الدكتور الباحث أن التذكير بحلف الفضول ليس من باب إبراز الجوانب المضيئة في التاريخ العربي ، أو اللجوء إلى الماضي للتنفيس عن مكبوتات الحاضر ، بقدر ما هو دعوة موجهة لذواتنا لجعلها رمزا أمميا ودوليا لبداية مشروع أممي حقيقي لنصرة المظلومين[21] .

2 . ملامح في الفكر و المنهج:

المتتبع للأعمال العلمية للدكتور إبراهيم القادري يلحظ أن الرجل بدأ مؤرخا متخصصا ، وهو الآن مؤرخ ومفكر ..وسع نطاق بحثه ونظره ، ولم تعد اهتماماته منصبة على النقول و المرويات ، بل خرج إلى فضاء أوسع ، ليكشف عن التيارات الباعثة على الحركة التاريخية ، ويتعامل مع الحاضر من خلال الماضي ، باحثا عن الروح الباعثة لا الحدث المجرد ، وقد تجلى ذلك في كتاباته الفكرية منها كتاب " لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب " وكتاب " بين أخلاقيات العرب ، وذهنيات الغرب " وكتاب " مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة و الأنترنيت " وغيرها من المقالات والأبحاث .

ويمكن أن نلمح معالم بارزة في فكر ومنهج الدكتور إبراهيم القادري في النقاط التالية :

- راهن المؤرخ الباحث على كتابة التاريخ الإسلامي وخاصة في جناح أمته الغربي بمنهج جديد يعيد الاعتبار فيه لبعض ما أساء بعض المستشرقين فيه لهذا التاريخ، وقد برز ذلك وتجلى حين كتب ملاحظات حول " منهجية التحقيق الإستشراقي للتراث الأندلسي المخطوط ، ليفي بروفينسال نموذجا " قال :" إن الدراسات الإستشراقية وإن كان لها فضل السبق في حفر التراث الإسلامي (الأندلسي منه) وإماطة اللثام عن بعض معالمه ، إلا أنه لا يمكن إغفال الخلفيات التضليلية التي شابت بعض الدراسات الغربية وموقفها من التراث الحضاري الأندلسي ، ومن يتتبع بعض الأسماء اللامعة من أمثال دوزي Dozy ، وسيمونيت Simonet، وألبورنس Albornoz وغيرهم ، يقف على تخريجاتهم الغامزة ، وأحكامهم الملغمة ، و يدرك كمائن الخطاب الإستشراقي ، بل يجد نفسه غارقا في طوفان المغالطات ، وسيل من الأخطاء التي اقترفت عن عمد وسبق إصرار ، وهو موقف لا يمكن فصله عن خلفيته الاستعمارية ، ناهيك عن شحنة الكراهية التي يحملها ضد العروبة و الإسلام "[22] .
- اختيار الدكتور إبراهيم القادري البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في التاريخ الإسلامي ، جعله يختار الدخول في منطقة (الرياح الساكنة) البعيدة عن ضجيج السياسة وتقلباتها ، بالرغم من أن آراءه السياسية الواضحة في بعض أبحاثه ودراساته ومقالاته تنساب بين السطور ، كأي كاتب يهجس بقضايا عصره ، ويشارك برأيه فيها ، ويود لو يجد لها في عمق التاريخ دواء لعللها ، فتعود أمته كما كانت في التاريخ... لتصنع التاريخ .
- أتاح له منهج الدراسات الاقتصادية التسلح بروح النقد بعيدا عن التفسير التقليدي للتاريخ أظهر فيها براعة في مناقشة الآراء و المقارنة بين وجهات النظر

والاستدلال ، مع استخدام المعلومة التاريخية في محلها .....بل إنني أكاد أجزم أنه فاق أستاذه محمود إسماعيل في تناول قضايا اقتصادية واجتماعية في تاريخ الغرب الإسلامي بعمق أكبر ، وتحليل أدق ، وبرهان تاريخي أشمل ، فاقت مناهج المشارقة في معالجة هذا النوع من الدراسات في فترات التاريخ الإسلامي في بلاد المشرق .

- لا شك أن دراسات الدكتور القادري وزملائه في المدرسة التاريخية المغربية وضعت أرضية صلبة لإعادة صياغة " تاريخ الأمة " بمنهج جديد تدرس فيه كيف تكونت الأمة ، وكيف تبلورت خصائصها ، وماهي مكامن القوة و الضعف في مسيرتها ؟، وذلك لمعرفة حاضرها ، واستشراف مستقبلها بعيدا عن الدراسات القومجية الإقصائية ، أو الإسلامية التي تهجس بالجوانب المضيئة وحدها في التاريخ ، وتُحوله إلى تاريخ أبطال لا دور للجماعات فيه .
- يورد الكاتب الباحث آراءه العلمية وتأملاته الفلسفية في تضاعيف كتاباته التاريخية انطلاقا من نقد النص وتفكيكه ، ودراسة بيئته وظروفه و العناصر المؤثرة فيه ، وصولا إلى مقاربة الحقيقة على مساحته ..، ويوظف ذلك كله بشكل محكم في مقارباته في التاريخ العربي الإسلامي ، وهو منهج ابتعد فيه عن المناهج الوصفية و الدراسات الاجتماعية التقليدية .
- بحس المثقف المهموم بقضايا أمته ومجتمعه مع الانخراط في الفكر العالمي والاهتمام بتطلعاته جاءت أبحاث الدكتور القادري مكتسية ثوبا نضاليا إصلاحيا ، وقد تجلى ذلك بوضوح في كتابه " لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب " وخاصة في ما يتعلق بالهوية ، وما يحيط بها من أخطار ، مما جعله يعتبر أن التعليم المزدوج باللغتين " العربية و الفرنسية يشكل مشهدا مشوها للهوية المغاربية ، ويعبر عن انفصام واضح في الشخصية الحضارية ، وينطق باحتقار الذات ، وطمس لإحدى المكونات الأساسية لوجود الإنسان المغاربي "[23] .

- بروز الحس القومي والإسلامي في عالم مضطرب تتغير فيه القيم ، وتسود القوة الباطشة ، والتفاوض العقيم ، والتنمر العسكري الفج ، اتجاه مآسي المسلمين في فلسطين و العراق و غيرها ...وتجلى ذلك في حديثه عن "حلف الفضول " فيقول :" فإذا كانت قضية رجل واحد قد هزّت ضمير المجتمع المكي ، فلم لا تهزُّ اليوم الانتهاكات التي لا حصر لها ضمير عالم يزعم الديمقراطية و الليبيرالية ؟ ، وإذا كانت صيحة رجل واحد قد أدت إلى انبثاق أول جمعية للدفاع عن حقوق الإنسان فبالأحرى أن توقظ اليوم صيحة شعب بأكمله يعيش كل ألوان الاضطهاد و القمع في غزة وفلسطين و العراق وغيرها ضمير العالم وأجهزته المتمثلة في الأمم المتحدة ، فيجتمع عقلاؤه وحكماؤه للنظر في تجاوزات حقوق الإنسان ، و المجازر التي ترتكب في حق النساء و الصبيان والعجزة ، وهدر دماء الأبرياء دون سبب ، وأخيرا هل تجلب صيحات المظلومين في هذا العالم المضطرب أهل الحكمة و العقل فتنعقد آلاف النماذج من أحلاف الفضول ؟!" (24).
- مع التتبع لإحالات الدكتور الباحث ومصادره ومراجعه المطبوع منها و المخطوط ...تدهشك دقته في الإحالة ، وأمانته في النقل ، وبراعته في الاقتباس ، وتجويده في التوثيق ، من المادة التاريخية المتناثرة ، مما ينم عن تكوين علمي رصين ، وقدرة فائقة على استلهام المادة المصدرية وحسن عرضها ، ومناقشتها ، ونقد ما فيها ، واستخلاص النافع الجيد منها ، مما يجعلك لا تستغني عن عبارته ، فتُكثر النقل عنه ، والإحالة إليه ... وهذا ما حدث لكاتب هذه السطور ..!.
- لم يكون الدكتور القادري حبيس المادة المصدرية من مظانها التقليدية فحسب ، بل يرى بعقل المفكر و منهج الفيلسوف الناقد أن هناك مادة جديدة أتاحتها الثورة الرقمية من خلال " وثائق ويكيليكس " التي وفرت لنا " الوثيقة الافتراضية " التي غدت آلية من آليات اشتغال المؤرخ الراهن ، مما يلقي الضوء على قضايا

حساسة، حتى اعتبرها البعض " زلزال وثائقي رهيب " ، ويرى الدكتور أنه من بالرغم من طابعها السياسي المهيمن ، ولكنها بلا شك سوف تساهم في تطوير البحث التاريخي من خلال اطلاع المؤرخين على أسرار العلاقات الدبلوماسية الراهنة ، كما ساعد على تكسير مركزية مصدر الوثيقة الدبلوماسية ، وتحكم النخب المسيطرة في تمريرها وظهورها ، وإمكانية الاطلاع على ما كان يدخل في مربع الممنوعات ...[25].

- لم يقفل الدكتور إبراهيم القادري المؤرخ و المفكر على نفسه في دائرة واحدة ، مأخوذا بهالة الاختصاص ، بل كانت له جولات على جبهات أخرى في التاريخ الراهن ، مما جعله يستصحب مقومات الأمة فيؤكدها ، ويمهد لاستشراف آمالها وطموحاتها ، وآية ذلك ما كتبه عن ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا وسوريا و اليمن ...واعتبرها محطة من محطات التاريخ العربي ، وفيصلا زمنيا فارقا في تاريخ العرب الراهن ، وهي بالنسبة إليه " .

منعطف زمني متميز في تاريخ الشعوب العربية ، ويمكن معالجته كحلقة جديدة في التحقيب ، لا باعتباره معطى سياسيا أفرز ثورات أو انتفاضات أو انفجارات ، بل كفكر جديد نحت مربّعا جديدا في تاريخ الأفكار ، مما يحفز على إعادة الاعتبار للتحقيب الثقافي ، الوجه الآخر القدر على كشف التشبيك الحاصل بين الذهنيات و الثوابت" [26] ،واعتبر أن زمن الثورات الجديد يمثل زمن ما بعد الخوف ،و اكتساب الجرأة و النزول إلى الشوارع و الاحتجاج و المطالبة بالحقوق من فئات عمرية مختلفة ، مع ظهور ما يمكن أن يسمى بزمن ما بعد الزعامات الكازيزمية والإيديولوجيات الأحادية ، والدخول في الزمن السبراني [27] والطفرة التكنولوجية و الثورة الرقمية العالمية ، التي ولد الربيع العربي من رحمها . و أن العربي اليوم بهذه الثورات قد دخل زمن التغيير الناعم [28]، كبديل لنظريات العنف التي كانت تتبناها بعض الحركات الثورية ، وبروح المفكر الحي و الكاتب

الذي يكتب قلمه على إيقاع نبض أمته ، وما يحدث في تاريخها من تغيرات حضارية يقول الدكتور :" " أن المثقف الشبكي لا يكتمل دوره إلا بحضوره الميداني الذي يتيح له التصنت لنبضات المجتمع ، و التشخيص الدقيق لمشاكله ومطالبه ، والاحتكاك بالرأي العام قبل الكتابة و التنظير " [29].

- عرض الدكتور القادري في كثير من الأحيان مادته العلمية بطريقة ممتعة ، بالرغم من النصوص التاريخية والإحالات المصدرية ...ولكنها لا تخلو من جمال الصياغة ، وألَقِ العبارة ، وروعة البيان ، وهذا ما تفتقده كثير من الدراسات التاريخية التي تعتمد اللغة الجافة ، و العرض الناشف ، مع استخدام اصطلاحات توهم القارئ بعمق التحليل ، وبراعة النقد ...مما لا تخرج من طول النظر فيه بطائل علمي ، ولا حصيلة معرفية .

3 . عندما يقرأ التاريخ من أسفل ..ضوابط لا بد منها :

من وظائف المعرفة التاريخية فهم الحاضر على اسس الوعي بجذور الماضي ، و البحث في العلاقات بين الأحداث و الظواهر ، وإدراك القوانين التي تحكم هذه العلاقات ، وما تفضي إليه من نتائج في إطار من النسبية التي هي قانون أعمال البشر على مرِّ التاريخ .

والمؤرخ الحاذق يدرك اثر الحوادث الماضية في ما يلحقها من حوادث الحاضر مستقرءا ملامح هذا التاثير وفاعليته ، وما هي العناصر التي تشترك في هذا التاثير ، كبرت أم صغرت ، قلت أم كثرت ، ومن هم صناعها من البشر ، وهل هم من علية القوم أو من سفلة المجتمع ، هل هم الحاكمون للسلطة فيه أم المحكومون لهم ؟ من البارزين فيه أم من المهمشين في زواياه ؟ .

وإذا كان التأريخ للخلفاء و الأمراء و المولك والأسرات الحاكمة قد حظي بالسهم الوفير من عناية المؤرخين القدامى و المحدثين ، فسجلوا أيامهم وفتوحاتهم وانتصاراتهم ...أما المناشط الحضارية الأخرى ، من متابعة أحوال المجتمع وطبقاته وشرائحه ، فقد عشيت عنها أعين كثير

من المؤرخين ، ولم ترد في كتاباتهم إلا تفاريق دون استقراء تاريخي شامل ، يهدف إلى إبراز هذا الجانب الهام بالصورة التي نريدها اليوم .

وفي هذا السياق يرى الدكتور إبراهيم القادري أنه : " لا سبيل لإنكار موقع التاريخ الاجتماعي في أي دراسة تطمح إلى الإلمام بالعناصر الفاعلة في حركة التاريخ وريادته في تأسيس تاريخ شمولي يتجاوز مستوى التاريخ التقريري الحدثي ، ويسعى إلى نسج خيوط منظور جديد يتوخى تحرير الكتابة التاريخية من طابعها الرسمي ونصها السلطوي المهيمن " [30].

وقد أولى الدكتور القادري عناية خاصة بدراسة الفئات التي يرى أنها ظُلمت في التاريخ من قبل مؤرخي البلاط ، ولذلك لا بد من رد الاعتبار في الكتابة التاريخية المعاصرة التي تعتمد مناهج جديدة في قراءة التاريخ وتدوينه " وانتشالهم من ركام النسيان الذي وضعهم فيه المؤرخون ، لتأسيس تاريخ علمي محترم ، يمشي على قدميه بدل المشي على رأسه " [31].

وقد تناول الدكتور القادري الشرائح المهمشة في تاريخ الغرب الإسلامي اقتداء بأستاذه الدكتور محمود اسماعيل الذي كتب عن " المهمشون في التاريخ الإسلامي و " المهمشون في التاريخ الأوروبي " ، وهو توجه أريد من خلال الكتابة فيه التأكيد على عدة قواعد منها :

1/عدم براءة المادة التاريخية المتاحة .

2/دور البورجوازية في رعاية الحركات التنويرية و الثورية للمهمشين .

3/ضعف الوعي الطبقي في هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي .

4/وحدة العالم الإسلامي من حيث حركيته وصيرورته.

5/الدور الثانوي للمذاهب الدينية في الصراع الطبقي [32].وقد ركّز الدكتور القادري على فئة عريضة من مجتمع الغرب الإسلامي الوسيط ، شملت فئة العامة و المستضعفين ، الذين لم تذكرهم المصادر إلا بنصف الكلمات ، وحسب رأيه أن ذلك يرجع لقصور نظرة المؤرخ التقليدي المرتبط بالسلطة إلى التاريخ " فقد ظل في الغالب الأعم عاجزا عن الرؤية الواقعية لمسار حركة التاريخ و العوامل الأساسية التي تحدد صيرورته ، وبقي اهتمامه منحصرا في المجرى الظاهري "

للسياسي " دون النفاذ إلى عمقه ورؤيته من خلال علاقته الجدلية بكل ما هو " اجتماعي " واكتفى بتمجيد النخبة ، في حين أسدل ستار من الصمت على السواد في المجتمع " [33].

ضوابط لا بد منها :

ثم يورد الدكتور إبراهيم القادري جملة من الضوابط للنظر في إعادة صياغة تاريخ الحركات المهمشة نذكر منها :

- إعادة تقييم الحركات المظلومة بنقد وخلخلة ما هو متواتر .
- إعادة الدراسة و التحليل انطلاقا من نظرة شمولية تربط هذه الحركات بواقعها .
- التنقيب عن النصوص الجديدة التي تميط اللثام عن الحقيقة ، وتفك الحصار عن فئات اجتماعية لم ينصفها المؤرخون .
- إعلان " الطلاق " مع التاريخ السردي الكرونولوجي المعتمد على الحدث السياسي... وعدم اعتماده لأنه تنكر لتاريخ المهمشين ، وتعبير ساذج عن قشور التاريخ ، وليس اكتشافا لجوهر لبابه[34].استنطاق الوثيقة التاريخية الخاصة بتاريخ المهمشين استنطاقا جديدا يتنسب مع ما تخبئه من دلالات وإيحاءات والتواءات ، بآليات علم التاريخ المقارن [35].
- اعتماد التحليل النسقي الشمولي ، للانتقال من الحدث المعزول مكانيا وزمانيا إلى تغطية شمولية لعصر برمته ... وذلك عن طريق استقصاء مجموعة من الظواهر كالمناخ و الخبز وطبقات السكان و المناجم و المعادن ، و الدخول إلى عالم البيوت وعوالم الزينة و الديكور و المشاعر العاطفية [36].
- توظيف المنهج الكمي الإحصائي لاستخراج جداول ورسوم بيانية ومنحنيات تفسر تأثير التغيرات الاقتصادية على وضعية الفئات المهمشة ... لأنه منهج يسمح بالانتقال من السؤال المنهجي " ماذا؟ ". إلى سؤال أرقى منه منهجيا ، وهو " لماذا ؟ " [37].

- توظيف المنهج السيميائي [38] الذي يعتمد قراءة الشارات و العلامات ، وإدراك أبعادها الدلالية و الرمزية في كشف النقاب عن الفئات الاجتماعية المهمشة ، خاصة في الروايات المناقبية ، ونصوص الكرامات الصوفية ، وتعبير الأحلام و الحكايات و الأحاجي و الحركات الفلوكلورية [39]. مما يسمح بإماطة اللثامن عن المشاعر الجماعية ، ويفصح عن الذاكرة الشعبية من خلال إدراك معاني تلك الدلالات عبر قواعد المنهج ذاته[40] .
- لا شك أن الأنثروبولوجيا التاريخية [41]تمثل أفقا معرفيا يسهل لنا رصد الجذور و التحولات البطيئة التي تطال القضايا الثقافية و الدينية ، فضلا عن كونه يسهم في الكشف عن البنى الاجتماعية ذات الديمومة ...و التي تمثل فيها الذهنيات أو العقليات المحور الرئيس الذي ما زال ينبض بالحياة [42].ولعل الفلكلور يشكل مادة دسمة للوقوف على عادات وطبائع الجماعات الهامشية [43].
- استخدام المنهج البنيوي[44]الذي يعنى بدراسة الحدث التاريخي في نسق مترابطة وحداته وأجزاؤه بما في ذلك النخبة صاحبة السلطة ، ويجعل من الحدث مادة هامة إذا ما تم تناوله في ارتباط مع بنيته [45].
- تغيير مفهوم جديد للزمن التقليدي المعتمد في التحقيب التاريخي بناء على أنه لا يوجد زمن واحد ، بل هي أزمنة متعددة لمجتمع تاريخي ، مما يستوجب تأسيس تسلسل زمني جديد يحدد تاريخ الظواهر بحسب مادة فعليتها وقوتها في التأثير ، وليس بزمن حدوثها ...ويمكننا إعادة النظر في الزمن التاريخي المبني على عصور الدول أو الخلفاء والأمراء إلى زمن الإيمان بالولاية و الصلاح ، و الزمن القبلي ، و الزمن الفقهي وزمن الزوايا ، وزمن الشريفية " cherifismeوزمن استعمال الأدوات الإنتاجية القديمة ، وزمن استخدام النقل المعتمد على الحيوان ، وزمن الحاسوب ....مما يفضي بنا إلى " تعانق الأزمنة " وهي متفاوتة السرعة ، تفضي إلى تحقيبات زمنية هامشية بالغة التعقيد [46].

- دراسة الجماعات المهمشة وتوظيف مناهج مختلفة يحتاج إلى جملة من المعارف التي ترون عملية التحليل التاريخي وتمده بالصوابية التي ينشدها كل باحث في التاريخ ومن فيها " علم الأثنوغرافيا و الظواهر السوسيولوجية المرتبط بالإنسان ، و العلوم الفقهية بالنسبة لتاريخ الإسلام ، إلى جانب علوم اللسانيات التي تكشف مظاهر التواصل بين الفئات المهمشة ، و الكاتوغرافيا المتضمنة للخرائط التفسيرية ، و التي تكشف عن أماكن تجمعات الأقليات الهامشية كالأقليات الدينية والإثنية وخرائط مواقع الرباطات و الزوايا ، وأماكن الأسواق وتجمعات الحرفيين و المزارع التي ينتشر فيها الرقيق وغيرها[47] . في عصر " الثورة الوثائقية " نجد أن الوثيقة تحررت من الهيمنة السلطانية عليها كم تحرر النص من إكراهات المصادر التقليدية المشدودة إلى مراكز النفوذ ، وانطلاقا مما حققته مدرسة الحوليات[48] على يد بروديل Fernand Braudel، وجاك لوكوف Jacques Le Goff ولوفيفر Henri Lefebvre ، فإن هناك مفهوما جديدا للوثيقة التاريخية ، يتجاوز المفهوم التقليدي ، فإن المراسلات و المعاهدات الرسمية و الرسائل الديوانية تشكل حجر الزاوية لهم ....فقد تم توسيع مفهوم الوثائق لتشمل كل ماله علاقة بالإنسان المهمش ، من أسطورة وحلم وكرامات صوفية وأهازيج .....فضلا عن الوثائق الأخرى " الواقعية " مثل شواهد القبور ولوائح دفن الموتى وقوائم النذور ، ونصوص الوصايا وسجلات العقارات و الموانئ ...كما تستلزم التأريخ للجماعات المهمشة الرجوع إلى ما يعرف ب " بالكتب الصفراء " من قبيل مصنفات السحر و التعاويذ و الجداول الفقهية و الحروف ، ورسوم الأسود و الأفاعي والأحاجي و الأمثال و الحكايات وكتب الطبخ و الحسبة و الرحلات ....فكل هذه المصادر أصبحت توفر نصوصا ذات قيمة كبرى لمؤرخ التاريخ.

4 . في آفاق الفكر الإسلامي (خطاب التقريب أنموذجا)

لا شك ان ما يعانيه العالم الإسلامي في الوقت الراهن من تشرذم وانقسام وفرقة وتشظي هو الذي كان دافعا لنشوء فكرة التقريب مع نهاية القرن التاسع وبدايات القرن العشرين .

وقد احتلت فكرة التقريب الصدارة في فقه الأولويات عند زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، جاعلين من الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أساسا ومنهجا يحقق مقتضيات دعوة القرآن إليها ، في قوله تعالى " **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**" (الحجرات /10) .

ولعل أولى التجارب التقريبية التي ظهرت في العالم الإسلامي هي ما دعى إليه رواد التقريب من أمثال المجدد المصلح جمال الدين الأفغاني (ت1314هـ /1897م) ، والإمام محمد عبده(ت 1322هـ / 1905م) " وقد تمثل إسهام الأفغاني . حسب التقريبيين . في دعوته إلى إحياء الرابطة الملِيّة بين المسلمين ، وإلى تحقيق الجامعة الإسلامية وضرورة التمييز بين الأصول و الفروع ، ورأى الأفغاني أنه من غير المفيد طرح مسألة الإمامة ، وقضية الأفضلية ، إذ لا يستفيد السني من إقرار الشيعي بأولوية الشيخين بمنصب الخلافة ، ولا يخدم الشيعي اعتراف أهل السنة بأولوية علي وأفضليته ...بل يجب جمع كلمة المسلمين ، ولا يتم ذلك إلا بإرساء دولة إسلامية نموذجية ، وتوحيد الدول الإسلامية ، وتحريض المسلمين على مقاومة الاستعمار "[49].

كما اهتم الإمام محمد عبده بالبعد التربوي ، وانتقد التعصب للمذهب ، ودعا إلى الإصلاح والتجديد ، ورأى أن التعصب المذهبي أدى إلى التشتت و الفرقة ، و الجدير بالذكر أن محمد عبده كان من مؤسسي (جمعية التأليف و التقريب) ، وهي جمعية سياسية دينية سرية ، موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاث ، وإزالة الشقاق بين أهلها ، و التعاون على إزالة الضغط الأوروبي على الشرقيين ، ولا سيما المسلمين منهم ...

كما انتهج الإمام محمد رشيد رضا (ت 1354هـ /1935م) نفس نهج الشيخين قبله ، فاهتم بقضايا الإصلاح السياسي ، وجعل في كتابه (السنة و الشيعة) من السياسة سببا

للفرقة و التشتت ، وقد حاول تطبيق ذلك بما أنجزه من محاولة الصلح بين الملك عبد العزيز آل سعود (ت 1372هـ /1953م) و المتوكل على الله بن المنصور بالله (ت1367هـ / 1948م) الذي تولى الإمامة الزيدية في اليمن)[50] .

وبعد سقوط الخلافة الإسلامية عام1342هـ/ 1924 . م) تجددت الدعوات إلى التقريب ، ومدِّ جسور الحوار الفكري بين المذاهب الإسلامية ، وعاودت فكرة التقريب الظهور من جديد في أفق الفكر الإسلامي المعاصر ووجدت لها متحمسين من النخب العالمة ، التي أرادت أن تضع خطة للتربية المذهبية الإسلامية ، تقف في وجه التحديات التي تعترض هذه الوحدة ، ولا تريد لها أن تمضي في سبيلها .

ولكن هذه الدعوات لم تجد لها حركة واقعية على الصعيد الشعبي من خلال الخطاب التربوي و الوعظي و التوجيهي ، بحيث تنطلق مفرداتها في تحريك العناوين المشتركة بين المسلمين في العبادات و المعاملات و العلاقات ، وفي خطوط العقيدة وحركة المنهج إلى جانب العناوين المذهبية الخاصة ليتعرف الناس على عمق الصفة الإسلامية الجامعة بينهم ، قبل أن يتعرفوا على الصفة المذهبية لكل طائفة منهم ، ، مما يجعل أفراد الأمة يشعرون أن التنوع لا ينافي الوحدة ، وأن الوحدة في الفكر لا تتنكر للتنوع في التفاصيل [51].

وفي هذا السياق يرى الدكتور المفكر إبراهيم القادري بوتشيش " أن الاصطفافات المذهبية قد تؤدي إلى إلغاء فكرة عالمية الإسلام ، وهي من أهم الكليات التي أصبحت مهددة في متاهات المذهبيات ، لأنها توحي بانقسام المسلمين بدرجة كبيرة " [52].

وإذا كان الاختلاف بين البشر سنة كونية ماضية ، فإن الحوار الحضاري الذي تتعالى الدعوات إليه في عالمنا المعاصر ، وخاصة لرفع درجة التفاعل الثقافي و التعاطي الإيجابي بين الشعوب لن يكتب له النجاح ما لم يكن هناك حوار إسلامي داخلي يعطي للمسلمين القوة في الحوار ويمنحهم الثقة في توحد صفوفهم وانسجام فكرهم ، ونجاعة مشروعهم الحضاري المنشود [53].

ونحن لا ننكر الجهد المحمود الذي بذلته المؤسسات التقريبية وأسفرت عن نتائج طيبة رغم محدودية فاعليتها ، ونخص بالذكر :" دار التقريب بين المذاهب الإسلامية " التي أسسها رجل الدين الإيراني محمد تقي القمي (ت 1990م) الذي جعل من بيته في (الزمالك) بالقاهرة مقرا للجماعة ، ومنتدى للحوار بين أطرافها ، وهو أحد أهم محرري مقالات مجلة (رسالة الإسلام) ، وكان التقريب " شغله الشاغل ، عاش معه ، وحمل لواءه ، وجاهد في سبيله ، وبذل ما يملك من قوة مادية ومعنوية في الدعوة إليه و التعريف به ...." (54)

والقمي يرى " أن المحاولات التقريبية كانت محاولات فردية بائسة ، ولا بد من الانتقال إلى مرحلة جديدة تقوم على عمل الجماعة ، وترسّخ المنهج العلمي ، وتُجنِّب الساسة و السياسة . بالإضافة إلى أن " فكرة التقريب " مجازفة ، وردت في سياق ثقافي مشحون بالجهل و البغضاء ، فقد كان يسود الفريقين جو من الظلام ، فلا يرى أحدهما من صورة الآخر إلا شبحاً تحوطه الظلمة ، ولا يتكلم إلا بما توحي به الظلمة ، ولا يقرا عنه إلا ما تسمح به حلكة الظلام ...فإذا ألّف أحد من أبناء الفريقين كتبا ، فهو لا يعرض إلا آراء مذهبه ، ولا يدافع إلا عنها ، ولا يسير إلا إليها ، وإذا طلب الأمر إشارة إلى ما في غير مذهبه ، فلا تكون إشارته إلا طعنا واتهاما ، وإلا ترديدا لما سمعه أو قرأه أو ورثه عن آبائه ..وبذلك كبروا الخلافات وضخموها ، ورددوا الشكوك وأسفوا فيها ، حتى اصبح كل معنى يؤيد الوحدة يفسَّرُ في ظل الشكوك بما يوجب الفرقة " (55).

ولا شك أن الفكر التنويري التقريبي استطاع يومها أن يجمع شرائح مختلفة من علماء الدين الرسميين و المعارضين ، ويؤلف بين تيارات ظاهرها التنافر و التلاحي و الخصام ، وهذا دليل على ما في هذه الدعوة من إغراء بالوحدةوجذب أطراف إسلامية متباينة وختلفة نحو أجواء أخوية تفضي إلى الوحدة الإسلامية الجامعة .

وقد ترجمت هذه المساعي إلى تقرير مناهج دراسية جديدة في الأزهر ، تعتمد على تآليف وتصانيف المذاهب المخالفة ، ومن بين ما تمّ من إنجاز في هذا الإطار هو تحقيق كتاب " تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن " للطبرسي (ت548هـ /1153م) ، وتم طبعه بالتعاون مع وزراة

الأوقاف المصرية ، وقد تكفّل الشيخ محمود شلتوت بتقديم الكتاب و التعريف به وذهب إلى القول : " فإذا كنت أقدم هذا الكتاب للمسلمين في كل مذهب ، وفي كل شعب ، فإنما أقدمه لهذه المزايا وأمثالها ، وليعتبروا بخير ما فيه من العلم القوي ، و النهج السوي ، و الخلق الرضي ....فليقرأ المسلمون بعضهم لبعض ، وليقبل بعضهم على علم بعض ، فإن العلم هنا وهناك ، والرأي مشترك ، ولم يقصر الله مواهبه على فريق من الناس دون فريق ، ولا ينبغي أن نظل على ما أورثتنا إياه الطائفية و العنصرية من تقاطع وتدابر وسوء ظن ، فإن هذه العوامل مزورة على المسلمين ، مسخرة من أعدائهم عن غرض مقصود لم يعد يخفى على أحد " [56].

ولكن هاجس التجديد و التقريب ظل حلما يراود المصلحين وأصحاب الحركات الدينية طوال العقود التي تلت ، تبرز حينا ثم تختفي حينا أما هيمنة الفكر المذهبي ، وسلطة القديم ، وتبعية التقليد ، وما يصحب ذلك من تعطيل للعقل ، وتهميش لكل فكر حرٍّ مجدد .

وهذا ما جعل الدكتور إبراهيم القادري ينظر بعين المؤرخ الناقد لمسار حركة فكرية مهمة في تاريخنا المعاصر ، وأورد جملة من الملاحظات النفيسة على مسارها نذكر منها :

- أن موضوع التقريب لم يحظ بإجماع كافة العلماء ، فقد عارضته ثلة منهم : كالشيخ الإمام محمد زاهد الكوثري ، الذي ذهب إلى حد القول أن فكرة التقريب فكرة مشبوهة ، وأن وراءها أيادي خفية .(57) كما لقي المشروع التقريبي معارضة من قبل علماء آخرين منهم : الشيخ عبد اللطيف محمد السبكي ، و الشيخ محمد عرف عضوي جماعة كبار العلماء في مصر ، و المفكر الدكتور محمد البهي .
- هناك تعارض جوهري حتى بين العلماء القابلين لفكرة التقريب ، واتهام بعضهم للبعض الآخر بالمغالطة في معالجة وإشكالية التقريب ، كاستعمال مصطلح " الوهابية "مقابل " الشيعة "مما يوحي أن طرفا واحدا من أهل السنة يتحمل مسؤولية الخلاف ..

- الخلاف بين المذهبين تعدّى إلى مناقضة الأتباع لمرجعياتهم المذهبية مما أفضى إلى التكفير و التفسيق المتبادل ، و التعصب السياسي ، و التخريب الاجتماعي ....مع فقدان مبدأ " الإحترام المتبادل " وهو احترام يقوم أساسا على مبدأ التكافؤ ، ويتطلب " تطهرا " من وهم الأفضلية ، وامتلاك الحقيقة المطلقة .
- غلبة الطابع النظري و المجاملات في حوار التقريبيين ، حيث ظلت أغلب الطروحات نخبوية التزمت أدب الحوار ، ولكنها ظلت توصياتها حبيسة الغرف المغلقة وأروقة المؤتمرات ، وصالونات الفنادق الفخمة ، دون أن تجد طريقها إلى عامة الناس ، أو تتحول إلى فكرة جماهيرية ....
- أن الحركة التقريبية ليس لديها الجرأة الكافية في الإقرار بأن أساس الخلاف لا يكمن في الاختلافات الفقهية الفرعية ، بل يرجع إلى بعض الأصول الاعتقادية .
- التقريب ليس مجرد ملتقيات تستبد بها العواطف ، بل مصارحة ومكاشفة تمس جوهر الاختلاف ، وليس المطلوب هو التقريب بين المذاهب الإسلامية ، إذ أن لكل مذهب مصادره وأدلته ومنهجيته في الاستنباط ...وهدف التقريب . تحت إكراهات الواقع . ليس هو الجمع بين معتقدات خلافية يصعب الجمع بينها ، بل إشاعة مناخ الألفة و التعاون والتعايش ، ونبذ التعصب و الغلو ، وهو أمر ممكن التحقق ، لأن الفطرة البشرية ميالة لمثل هذا التوافق الديني رغم ما بينها من خلافات عقدية ، خاصة إذا تجند العلماء وأصحاب الدعوة لتحقيق هذا المناخ التعايشي الذي يستند على احترام الآخر ، و القبول بالعيش معه ، و التحذير من مغبة الفتنة داخل الأوساط الشعبية [58].

ولا يرى الدكتور إبراهيم القادري أن هذه الملاحظات تنقص من قدر مشروع التقريب ولا تغض من جهود أصحابه " بل هو مجرد نقد يستهدف مساءلة الذات وخلخلة أجهزة المفاهيم ، وتطوير آليات التدبير الذهنية "[59] .

وعلى ضوء هذه الملاحظات . آنفة الذكر . فإن الدكتور إبراهيم القادري يرى أن الاختلافات الفقهية بين المذاهب في مجال الفروع لا تقصم ظهر المسلمين بل تزيد من ثراء مجالهم الفقهي ...ولكن الاختلافات التي ينبغي التصدي لها هي الاختلافات في الأصول ، التي لا ينبغي أن تظل طابوهات يحرم تناولها ، أو يهوّن من خطورتها تحت ذريعة أنها من " خصوصيات " كل مذهب [60]. ويقدم المؤرخ الباحث بعض الأمثلة على ذلك منها : قضية التلقي في العقائد، مما يترتب عليه مسألة الكفر والإيمان ...وقضية تكفير الصحابة في كتب الشيعة ، وتكفير الشيعة في كتب السنة ، وتحديد الثابت من السنة عند الشيعة ، إلا ما رواه أهل البيت ، وترسيم حدود السنة التشريعية التي تتعدى عند الشيعة إلى قول وفعل وتقرير الإمام المعصوم .

ومسألة أكثر خطرا مما سبق ، وهي قضية " تحريف القرآن " ، مما ورد في روايات مصار الشيعة عند الكليني في كتابه " الكافي " و المجلسي في " بحار الأنوار " ، وقضية الإمام الغائب ، التي يعتقد الشيعة الإمامية بظهوره دون سائر المذاهب الإسلامية الأخرى [61].

إن هذه الاختلافات العميقة التي بقيت دون حل جذري لها بين مذاهب المسلمين ، وافضت في عالمهم المعاصر إلى تنامي الحس الطائفي المذهبي أفرز مشاهد متعددة من التوتر و العنف ، وما المساجد التي تحرق ، ودور العبادة التي تهدم ، و المراقد التي تخرب في العراق . على سبيل المثال . إلا دليلا على تراجع دعوات التقريب ونكوصها ، وتقهقر الفكر الداعي إليها ، مما أوجد شحنا مذهبيا غير مسبوق ، أخلط الأوراق السياسية و المذهبية ، ولعلّ أكبر مساهم في ذلك هي الفتاوى المعادية لأتباع المذهب الآخر ، ويضرب المؤرخ الباحث الدكتور القادري مثالا لذلك " فتوى الشيخ عبد الله جبرين التي جرم فيها مناصرة حزب الله في حربه التي خاضها مع العدو الصهيوني في يوليو من عام 2006م ، وأفتى بعدم جواز الدعاء لأتباع حزب الله بالنصر لأنهم . في رأيه . روافض خارجون عن الملة " ، مما يدل على فشل مشروع التقريب على مستوى التطبيق [62].

وبناء على هذه الإشكاليات التي تخفي الجانب المعرفي والإجرائي فإن الدكتور إبراهيم القادري بكل جرأة وشجاعة مبادئ لإمكانات التجاوز ، إذ لا سبيل في رأيه إلى المجاملات و

الشكليات ، والتجارب التقريبية التي بذلت وضعت فكرة التقريب في مسالك ومتاهات وانفاق مظلمة لم يستطع أصحابها أن يحولوها إلى طرق معبّدة آمنة يسلكها الأتباع من كل الأطراف ، واتخاذ خطوات جريئة أصبح أمرا لازما ، وإن كانت قاسية ومزعجة أحيانا ، فالمشروع التقريبي يمر بأزمة حقيقية لا يمكن تجاوزها بالكلام المعسول ، و اللقاءات الرتيبة ، و الخطب الفصيحة ، فإن ذلك مما أطال همر الأزمة ، وأفقد المشروع حيويته وحماسه ، وتراجعت الدعوات إليه ، بل وأعاد الطائفية المقيتة جذعة كما بدأت أول مرة ...!!.

ويمكن أن نورد بإيجاز أهم تلك المبادئ التي قدمها الدكتور إبراهيم القادري، وأظهر فيها التجديد و الجرأة ، ما يشد الانتباه ويدعو إلى البحث و الدرس ، وهي في ما يلي[63] :

- **إلتزام المرجعية القرآنية و السنية :**

القرآن و السنة مصدران أساسيان لمعرفة منظور الإسلام لنظام الكون و الحياة والآخرة والإنسان ...وأي انحراف أو إساءة تأويل لنصوص القرآن و السنة ، أو تشكيك في الأصول العقائدية الكبى للإسلام يعتبر خرقا لأهداف التقريب ومقاصده .

- **الإيمان بمبدأ الوحدة الإسلامية :**

كل الأدلة النقلية من القرآن و السنة تؤكد مبدأ الوحدة الإسلامية ، و الذي هو بدوره يشكل البناء التقريبي ، ويحقق التآلف والتآزر و البحث عن إعادة تشكيل اللحمة التي تجعل من مشروع التقريب مشروعا ناجحا .

- **مصداقية الحوار من أجل التقريب :إ**

إن خلوص النيات ، وصدق التوجه ، مع حسن إدارة الحوار يحقق الهدف المرجو ، ويصل إلى الغاية المنشودة ، وكل تقية[64] سوف تكون حجر عثرة أمام دعوة التقريب لأنها تشكك في مصداقية أي كلام بعيد عن علماء الشيعة ..وهذا ما ينسف أسس الحوار ، ويذهب بالجهود أدراج الرياح .

- **إقصاء التكفير من قاموس الاختلافات المذهبية :**

هناك منزع جديد يهتم بكتب التراث الكلامية و العقائدية ، وينبش فيها لاستخراج صكوك التكفير جاهزة منها ، مما يستدعي ضرورة إعادة النظر في مفهومي " الكفر والإيمان " و التنبيه إلى ما لحق بهما من تحولات ، وتطور في الدلالات ، وتحديد نطاق الألغام الفكرية التكفيرية ، وتطبيق خطة لإزالتها من كتب التراث ، وغربلة النصوص الدينية المرجعية المتداولة داخل المذهب " فنصوص التراجم و السير اعتمدت الانتخاب ، فأهملت أحداثا ، وضخّمت من شأن أخرى ، وعظمت أعلاما وحقّرت آخرين ، وأبدعت النصوص الكلامية في مدح المذهب ، وتعظيم شأنه و التشنيع ببقية الجماعات الدينية ، ونفسيق أصحابها وتكفيرهم .." [65]. وهذه النصوص والأدبيات أفرزت لنا فقه التكفير و التفجير ، الذي تولّى إثمه أشباه العلماء و المفتين ، ومن تبعهم من الأغرار و السفهاء . مما يستوجب مراجعة كل الكتب التي تدرس في الحوزات العلمية أو الجامعات الإسلامية وحذفها من الطبعات الجديدة .

- **تجنب الغلو والإساءة لمقدسات الآخر :**

الإساءة إلى مقدسات كل مذهب عائق كبير أمام أي محاولة جادة للتقريب ، ويجب أن يتم بحثها بجد وإخلاص من جميع الأطراف ، ودون حساسية أو انفعال أو تهريج ، فلا أحد يقبل أن تهان مقدساته من الوحي المعصوم الذي هو محل اتفاق، ومن خالف فهو خارج من دائرة الذين نختلف معهم أو نقترب منهم ، بالإضافة إلى مقام الصحابة رضوان الله عليهم في نفوس المؤمنين ، مما لا يجوز المس بهم ولعنهم ، فإن ذلك من أبرز العوائق التي تعترض مسيرة الوحدة و والتقريب ، بل وتنتج مضاعفات عكسية ، وتوسع هُوة الخلاف ، وترف درجة التشنج ، وتزيد من حالات التلاحي و التنافر و الخصام .

- **التخلص من عقدة التاريخ واستغلال الجوانب المشيئة فيه :**

ليس التاريخ الإسلامي على وتيرة واحدة في التألق و الانطفاء ، في التقدم و التقهقر ، في الصعود و الهبوط ...ففيه فترات مضيئة ناصعة ، وفيه فترات مظلمة كالحة ، ولا يمكن أن نستحضر التاريخ ونستنجد بذاكرة " الكفر والإيمان " . ففي الصدر الأول فترة تألق يجعلها أنموذجا للتسامح والتآخي ، أما استدعاء فترات الصراع وأيام الفتن فإنه يفقد الحوار وهجه ،

ويزيد من بعض المعتقدات الشعبية السلبية التي لا تزال ترضع من لبن التاريخ المزور ، وتجعل الشعوب تعيش في دوامة من الصراع الذي انتهت دواعيه وملابساته وشخوصه منذ زمن بعيد .

- **تعميق المعرفة المذهبية بالرجوع إلى أصول مرجعياتها :**

مما عمق أزمة الخلاف بين المذاهب هو أخذ النصوص عن أصحابها بالواسطة دون الرجوع إلى مصادرها الأصلية ، الأمر الذي خلق الجرأة من الأطراف جميعها على جغرافية السيادة المذهبية ، دون الإحاطة بالقضايا الصغرى و الكبرى في المذهب ، ولا ما يتعلق فيها بالجدل الكلامي و الفلسفي وأصول الاعتقاد وغيرها ، مما ينبغي أن نراجع فيه الأحكام و الوثائق الحقيقية التي هي ملك لهذا المذهب أو ذاك.

- **تضافر جهود الدولة و المجتمع المدني وعدم تسييس التقريب :**

إن تسييس حركة التقريب يؤدي إلى تعطيل حركتها فلا تتجاوز دور المحتضن وليس المسؤول ، لذلك لا بد من الإصغاء بحكمة إلى المجتمع المدني من أحزاب ونقابات ومنظمات فضلا عن الهيئات العلمية ، لأن المجتمعات المعاصرة تتحرك باتجاه النموذج المفتوح ، و الناس أمام الالتزام بالمذهب ليسوا سواء ، و الخلاف الفروعي لم يعد بالأمر الملزم ، وتحكم جهاز الدولة دون المجتمع في موضوع مثل التقريب يعني إلغاء له في ظل إكراهات متجددة تمس نوازل الواقع ، ومسالك التدين جميعا .

ولما كان الساسة هم الذين يصوغون الحقائق الدينية أحيانا ويسخرون لها رجال الدين ، ومؤسسات التعليم الديني ، ووسائل الإعلام والاتصال ، فلا بد من الحذر في ما نعدُّه من حقائق الدين ، ونتعصب له ، وندافع عنه ، ونريق من أجله الدماء ، وهو في الواقع فرقعات تصنعها أيادي السلط الحاكمة ، وخيارات سياسية لا علاقة لها بالحقائق العليا للدين الحق .

- **إعادة صياغة مناهج التربية على المستوى الجامعي :**

لأن الجامعة هي المحضن الذي يتكون فيه الفهم والإدراك ، و الفضاء الذي تنشأ فيه عقول الشباب وتصقل مهاراتهم الفكرية ، فلا بد من إعادة النظر في المناهج الجامعية بحذف المقررات

التي تمس بمقدسات هذا المذهب أو ذاك ، مع خلق إطار من الثقافة الدينية التي لا يعتقد فيها الظني قطعيا ، ولا فروع الدين أصولا ملزمة لا تقبل المراجعة ، مع تربية الأجيال على احترام الاختلاف و التعددية المذهبية وفق فقه التعارف التقريبي الذي لا يعتمد الصور النمطية التي شوهها المخيال الديني الجمعي ، وتناقلتها الأمة على أنها حقائق غير قابلة للتشكيك ، ويتأتى ذلك من خلال التركيز على تدريس الفقه المقارن لفهم أسباب الاختلاف المبني على حجج دامغة ، تؤخذ من النصوص التأسيسية للمذهب ، وتجنب الأدبيات الوسيطة التي تعتمد الانتقاء والانتخاب ، وهو منهج لا يمت إلى التحقيق العلمي بصلة .

- **تنمية وعي"الشارع " بثقافة التقريب:**

ثم يختم الدكتور القادري مقترحاته القيمة بالقول : بأن جميع ما صدر من توصيات في مؤتمرات التقريب التي عقدتها النخب العلمائية من جميع الأطراف سوف تظل حبرا على ورق ، وحبيسة أدراج الغرف المغلقة ، ما لم تعضّد بوعي شعبي حاشد ، يعزز القرارات ويؤيدها ، ويحيلها إلى تطبيق عملي يعيد اللحمة بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة ، كما يقترح الدكتور القادري ضرورة الاعتراف القانوني بكل المذاهب الإسلامية المقررة وعدم التفريق بين أتباعها [66] ، مع تشجيع التأليف وإعادة التحقيق ومراجعة المادة المصدرية المتعصبة ، التي تحمل في ثناياها العصبية المذهبية و الخصام المقيت ، مع إقرار حرية الفكر ،ورفع الحواجز و العوائق عن الاختلاف المحمود ، وإشاعة روح التعارف والانفتاح المتبادل بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية ، لتحقيق الوحدة ، ومواجهة الأخطار و التحديات الكبيرة .

5.الخاتمة:

هذه بعض الأضواء و المعالم لمرتكزات الفكر التاريخي عند المؤرخ و المفكر الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش ، ولا شك أنها قليل من كثير ، وفيض من غيض ، تحتاج إلى مزيد من النظر في تراثه العلمي الضخم الذي أسهم فيه بدراسات وافية عالجت تاريخنا الإسلامي من زوايا علم الاقتصاد وعلم الاجتماع و الفلسفة وغيرها من العلوم الإنسانية ، مما أثرى ساحتنا العلمية الأكاديمية بعطاء فكري رصين ، يملك رؤية شاملة ، وفكر مبدع ، واستقراء شامل ، ، متوجاً

ذلك كلَه بأدبه الرفيع ، وخلقه الحميد ، ونفسه الرضية ، وشخصه المتواضع ، مما يدركه طلابه وأحباؤه وخُلصاؤه ومُريدوه ...

6.الهوامش:

(1) . **الدكتور محمود اسماعيل عبد الرزاق** : استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الاداب بجامعة عين شمس- القاهرة- ودرس بكلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس، وبكلية الاداب بجامعة الكويت، وهو ينضم إلى مجموعة المؤرخين العرب والمسلمين المهتمين بتصحيح التاريخ العربي الاسلامي من كل الشوائب التي الصقها به مؤرخو وكتاب الاستشراق، ...منفتح على زمرة من المدارس التاريخية..مهتم بمدرسة الحوليات التي تعتمد على مختلف العلوم لتفسير الظواهر التاريخية وتأويلها، وبالرجوع إلى كتابه"سوسيولوجيا الفكر الاسلامي" الذي وصل إلى جزئه الثامن، نستطيع تكوين فكرة عن المنهج الذي يسلكه في تفسير وتأويل الظواهر والاحداث التاريخية، ففيه عصارة مجهوداته في ميدان دراسة التاريخ والفكر الاسلامي، من كتبه:-* الخوارج في بلاد المغرب" ، " قضايا في التاريخ الاسلامي" ، " سوسيولوجيا الفكر الاسلامي" ، " الأدارسة في المغرب الاقصى،" ، "دراسات في الفكر والتاريخ الاسلامي" ، " الفكر التاريخي في الغرب الاسلامي" .

(2) . أنظر : تقديم الدكتور محمود اسماعيل لكتاب (**بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب ، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية** ، للدكتور إبراهيم القادري بوتشيش ، ط1، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2005م ، ص11)

(3) . المرجع نفسه . ص 11 .

(4) . المرجع نفسه . ص 17.

(5) . انظر : أحمد صبري السيد علي . **المهمشون في التاريخ الإسلامي للدكتور محمود اسماعيل كتابة جديدة لتاريخ الحركات المجهولة و المشوهة**
Http.//ahmadsabrysayyedali.blogspot.ae

(6) انظر : تقديم الدكتور محمود إسماعيل لكتاب ، **نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي ، مقاربات منهجية** للدكتور محمد تضغوت ، ط1 ، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2004م ، ص 6-7.

(7) محمود إسماعيل . **إشكالية المنهج في دراسة التراث** . ط1، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2004م ، ص71-72.

(8) المرجع نفسه . ص 76-77.

(9) السيد شبل .**الدكتور محمود إسماعيل ..جسر عبر عليه التاريخ إلينا** . http://anntv.tv/new. السبت 24 ديسمبر 2016.

(10) عبد الله العروي . **مفهوم التاريخ . المفاهيم و الأصول**. بيروت : 1992م ، ج2/ص 313.

(11) إبراهيم القادري بوتشيش. **النص التاريخي بين القراءة التأويلية و الهرمنيطيقا** . مجلة كان التاريخية ، العدد 36، السنة 10، يونيو 2017م ، ص 72.

(12) انظر : المرجع نفسه . ص 72-74.

(13) المرجع نفسه . ص 74.

(14) انظر : المرجع نفسه 74-76.

(15) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش . **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي** . **وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**.ط1، بيروت : دار الطليعة ، 2002م ، ص66.

(16) إبراهيم القادري بوتشيش . **المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، المجتمع . الذهنيات . الأولياء** . دار الطليعة : بيروت ، 1993م ،ص 110-111.

(17) المرجع نفسه . ص 112-113.

(18) حلف الفضول : وسببه أن رجلا من زبيد (بلد باليمن) قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، ومنعه حقه فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، فوقف عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة، فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مترك، " فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تَيْم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا كثيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم قبل ان يوحى إليه وهو ابن خمس وعشرين سنة ،وكان الذي تعاقد عليه القوم وتحالفوا ان لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويردوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه فحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت وما أحب أن لي به حمر النعم" أنظر : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي . **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**. ط2 ، بيروت : دار خضر ، 1414هـ ، ج5/ص **170**.

(19) إبراهيم القادري بوتشيش . **لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب** . ط1 ، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2010م ،ص359.

(20) . المرجع نفسه . ص 359.

(22) إبراهيم القادري بوتشيش . **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**...مرجع سابق ، ص 8-9.

(23) إبراهيم القادري بوتشيش . **لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب** . مرجع سابق ، ص 173.

(24) المرجع نفسه . ص 360.

(25) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش . **وثائق ويكيليكس ، حين يبوح الأرشيف بأسراره** . موقع الجمعية المغربية للبحث التاريخي . http://amrh.ma

(26) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش . **الربيع العربي كحلقة جديدة في التحقيب التاريخي .الإرهاصات التأسيسية لكتابة تاريخ غير مدون** . بحث منشور ضمن فعاليات المؤتمر الثالث للدراسات التاريخية ببيروت . **https://www.maghress.com** 2016/4/22، وانظر : احميدة النيفر . **بلاد المغرب و الحداثة المخترقة** . موقع مؤمنون بلا حدود . http://www.mominoun.com 2015/1/21.

(27) الزمن السبراني :

(28) لولا اختطاف هذه الثورات وتحويل مسارها للأسف ، وإدخال البلدان التي ظهرت فيها في نفق من الفوضى و الفساد و العنف .

(29) انظر: موقع هسبريس ، https://www.hespress.com، السبت 2015/2/12.

(30) إبراهيم القادري بوتشيش . **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين** . ط1، بيروت : دار الطليعة ، 1998م ، ص 5.

(31) إبراهيم القادري بوتشيش . . **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي** . إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل . ط1، القاهرة : رؤية للنشر و التوزيع ، 2004م ، ص9.

(32) أحمد صبري السيد علي . **المهمشون في التاريخ الإسلامي قراءة نقدية لكتاب محمود اسماعيل** . مجلة أدب ونقد . مصر ، شهر ماي ، مجلد 23 ، ع 249، 2006م ، ص 31-40.

(33) إبراهيم القادري بوتشيش . . **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي** .. مرجع سابق . ص 10.

(34) المرجع نفسه . ص 43-44.

(35) المرجع نفسه . ص 44-45.

([36]) المرجع نفسه . ص 46.

([37]) المرجع نفسه . ص47.

([38]) وهو منهج يعنى بدراسة العلامات ، ويطبق في مضمار الدراسات اللسانية والأدبية و النقدية و التاريخية .

([39]) انظر تطبيق الدكتور القادري هذا المنهج في كتابه : **المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، المجتمع . الذهنيات . الأولياء** . مرجع سابق ، ص 142 وما بعدها

([40]) إبراهيم القادري بوتشيش . **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي** . مرجع سابق ، ص 48-49.

([41]) الأنثروبولوجيا : هي في الأصل مصطلح مركب من مقطعين باللغة اليونانية هما " أنتروس " وتعني إنسان ، و " لوجيا " وتعني علم ، وبهذا فهي تعني علم الإنسان أو المعرفة المنظمة عن الإنسان ، وهي تجمع في علم واحد الجوانب البيولوجية والاجتماعية و الثقافية للإنسان وميدان الدراسة الأساسي لها هو الجماعات أو المجتمعات بكل جوانبها الإثنوغرافية ، والأركيولوجية ، و اللغوية ... " أنظر : **المفهوم و التطور التاريخي للأنثروبولوجيا** http://www.mouwazaf-dz.com 2010/11/24.

([42]) جعفر نجم نصر . **الأنثروبولوجيا التاريخية** . ط1، بغداد : دار أوما ، 2013م ، ص 10-11.

([43]) إبراهيم القادري بوتشيش . **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي** .. مرجع سابق (القادري ص 49.

([44]) وهو منهج نقدي انطلق من اللسانيات ويقضي بوجود بنية جامعة في النص الأدبي ، عليها مدار النص ومفاده ودلالته ، كما أنه يعزل النص عن محيطه التاريخي والاجتماعي و الثقافي ، فيدرس النص من حيث هو بنية وتراكيب .

([45]) إبراهيم القادري بوتشيش . . **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي** .. مرجع سابق ص50 .

([46]) المرجع نفسه . ص 51-52

([47]) المرجع نفسه . ص 53 .

([48]) مدرسة الحوليات : Les Annales، مدرسة تاريخية تأسست على يد مؤرخين هما : لوسيان فافر Lucien Febvre، ومارك بلوخ Marc Blach ، حيث أصدرا مجلة الحوليات في فرنسا سنة 1929م ، وعرفت هذه المدرسة بالعزوف عن الإغراق في التاريخ السياسي و الحربي و التاريخ الحدثي عامة ، لتعتني بتاريخ المهمشين و المغيبين ، وتدرس كل ما له علاقة بالمجتمع والاقتصاد و الذهنيات .

([49]) علي بن مبارك . **الحوار التقريبي بين المذاهب الإسلامية . التجارب والإشكالات والآفاق** . ط1، الرباط : مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، 2017م ن ص57-58.

([50]) المرجع نفسه ص 58-59 .

([51]) انظر : محمد حسين فضل الله . **قراءة في سيرة الوحدة و التقريب** ، مجلة أمة الإسلام العلمية . السودان شهر فبراير 2014م ، ص 11 .

([52]) إبراهيم القادري بوتشيش . **لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب** . مرجع سابق ، ص 19.

([53]) المرجع نفسه ص 20.

([54]) علي الجندي . **كلمة التحرير** . مجلة رسالة الإسلام . العدد 60 ، ص 4 .

([55]) محمد تقي القمي . **قصة التقريب** . مجلة رسالة الإسلام . العدد ص44، ص 347.

([56]) محمود شلتوت . **تقديم كتاب (مجمع البيان)** ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد 39، ص 241.

([57])أنظر : زاهد الكوثري . **مقالات الكوثري** ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، 1944م ، ص 218

([58]) إبراهيم القادري . **لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب** . مرجع سابق ، ص 21-26.

([59]) المرجع نفسه . ص 26.

([60]) المرجع نفسه . ص 29.

([61]) إبراهيم القادري . **لحظات تفكير في قضايا عالم مضطرب** . مرجع سابق، ص 30-32. .

([62]) المرجع نفسه ص32-34.

([63]) انظر : المرجع نفسه . ص 38-43.

([64]) التقية :" هي أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك كما لو كنت بين قوم لا يدينون بما تدين ، وقد بلغوا الغاية في التعصب ، حيث إذا لم تجارهم في القول و الفعل تعمدوا إضرارك ، والإساءة إليك " . محمد جواد مغنية . **التقية بين السنة و الشيعة** . مجلة رسالة الإسلام ، العدد 53-54.ص 39. وهو تعريف تمثلته الشيعة الإمامية ، وقد ظلت ثقافة " التقية " حاضرة في الوعي الشيعي و الفقه الإمامي حتى عصر قريب ، و الواقع أن الظلم والاستبداد الذي عاشته المجتمعات الإسلامية في بعض فترات التاريخ شمل السنة و الشيعة ، ومسّ فئات مختلفة من المجتمع ، وطوائف متباينة من الأمة ، مما يستدعي مراجعة هذا " المبدأ " في ضوء حاجات التقريب و الوحدة .

([65]) علي بن مبارك. **الحوار التقريبي بين المذاهب الإسلامية**. مرجع سابق ، ص 664.

(66) مثال ما حدث في الجزائر حيث تم اعتبار المذهب لإباضي مذهبا رسميا معتبرا في الدولة . إلى جانب المذهب المالكي.